صدر النبي ﷺ في القرآن الكريم

Prophet's Chest in Glorious Quran

أ. م.د. أحمد حميد أوغلوا

Asst. prof. Dr. AHmed HAMİTOGLU

م. د. يوسف عبد علي شبيب

Lect. Dr. Yusuf Eabd Eali Shbyb

صدر النبي ﷺ في القرآن الكريم

Prophet's Chest in Glorious Quran

أ. م.د. أحمد حميد أوغلوا
تركيا / جامعة إبراهيم جاجان- أغري / كلية العلوم الإسلامية / قسم التفسير
Asst. prof. Dr. AHmed HAMİTOGLU
Turkey / Department of Exegesis/ College of Islamic Sciences/ Agrı Ibrahim Cecen University
م. د. يوسف عبد علي شبيب
دائرة التعليم الإسلامي – ديوان الوقف السني
Lect. Dr. Yusuf Eabd Eali Shbyb
Directorate of Islamic Education/ Sunni Endowment

Diwan ahamitoglu@agri. edu. tr
d. yusuf. eabd@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٧/ ٢/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٩/ ٨/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق محمد وعلى آله وصحبه وسلم:

يصور هذه البحث المكانة التي حظي بها النبي محمدﷺ من بين سائر الخلق، فإن تفسيح الصدر وتوسيعه، ورفع الحرج والضيق عنه، وتثبيت الفؤاد، إنما هو من علامات العناية الإلهية لخُلَّص عباده إذ مقام الحب إنما يترتب على هذا الشرح والتوسيع وهو من أعظم الفتوحات الإلهية وأجل الفيوضات الربانية التي يمنحها الله، لذلك شرح الله صدر حبيبهﷺ من غير أن يسأله في حين أن نبي الله موسى طلب ذلك. ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تفصل جزء من جسد النبي عليه الصلاة والسلام

وقد اشتمل البحث: على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

أما التمهيد فكان في بيان معنى الصدر والقلب والفؤاد، والفرق بين القلب والفؤاد.

وأما المبحث الأول: فكان انشراح صدر النبيﷺ ورفع الحرج والضيق عنه.

وأما المبحث الثاني: فكان بيان آيات القلب، وأما المبحث الثالث فكان بيان آيات الفؤاد. وقد أتت الخاتمة بأهم ما توصلنا إليه.

الكلمات المفتاحية: الصدر، القلب، الفؤاد، الحرج، والتثبيت.

Abstract

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, is mentioned in the Gloriuos Quran. The research depicts the position that the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, has between the rest of creations. The expansion of the chest, the lifting of embarrassment and distress from it and the consolidation of heart, are between the signs of divine providence for the salvation of His servants. The greatest of the divine conquests and bebevelence are his bless , so Allah opens the chest of His Beloved, peace be upon him, without asking him while Moses asked for such a matter. That is, the study details a part of the body of the Prophet to be under the analysis lens.

The research includes an introduction and a preamble in explaining the meaning of chest and heart, and the difference between them. As for the first topic: It is an explanation of the chest of the Prophet, may God bless him and grant him peace, lifting the embarrassment and distress from it. As for the second one ; It is a statement of the verses of the heart and chest, and the conclusion comes with the most important findings the study reaches.

Key words: chest,heart, soul, embarrassment , settlement

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد: فإن كان لأحد من البشر فضل على كل مسلم على وجه هذه الأرض بعد فضل الله تعالى – فهو – بالقطع لرسول الله ﷺ، الذى أنقذنا الله به من الضلالة، وأخرجنا به من الجهالة والغواية، وجعله سبباً لكل خير هدينا إليه أو شر نهينا عنه. وقد اشتمل القرآن الكريم على إشارات كثيرة تتحدث عن مكانة الرسول ﷺ عند ربه، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في كل ما يتعلق بهذا الجانب، منها على سبيل الإجمال أن الله تعالى نادى جميع الأنبياء وبأسمائهم، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى .... الخ بينما نادى النبي ﷺ بقوله له (يا أيها النبي – يا أيها الرسول – يا أيها المزمل – يا أيها المدثر (، وقد أثنى الله تعالى على كل نبي بصفات محددة، وحين تحدث عن سيدنا محمد ﷺ بين أنه حاز الكمالات كلها فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، والمسلم أمام هذا النبي العظيم لا يملك إلا التوقير والإجلال لمقامه، ويجعل نفسه وما ملك فداء لرسول الله ﷺ. لهذا كان موضوع بحثنا على الصلة بهذا النبي الكريم ﷺ، وقد هدانا الله تعالى أن يكون عنوان البحث « صدر النبي ﷺ في القرآن الكريم »، وكانت طبيعة هذا البحث مقسمة بعد هذه المقدمة على تمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

التمهيد: وتضمن مفهوم الصدر ومحتواه، والفرق بين القلب والفؤاد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصدر في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: مفهوم الفؤاد والفرق بينه وبين القلب.

وأما المبحث الأول: فكان انشراح صدر النبيﷺورفع الحرج. والضيق عنه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: انشراح صدر النبي محمدﷺ.

المطلب الثاني ـ رفع الحرج عن صدرهﷺ.

المطلب الثالث: حصول الضيق لصدرهﷺ:

وأما المبحث الثاني: فكان قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول القران على قلب النبيﷺ.

المطلب الثاني: تنزيه ساحة النبيﷺعما قاله المشركون في شأنه

المطلب الثالث: سمو القيادة وحكمة الرئاسة بالرفق واللين.

وأما المبحث الثالث: فكان فؤاده الشريف عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تسليته وتثبيته في أداء الرسالة.

المطلب الثاني: تشجيعه على حفظ الكتاب، وفهمه، والرد على ما يثار حوله من شبهات.

المطلب الثالث: بيان منزلتهﷺ، ومقامه من مقام الرؤية عند الحضرة الإلهية **وقد أتت الخاتمة بأهم ما توصلنا إليه.** .

هذا فإنَّا نقف عاجزين أمام هذا النبي الكريم فمهما بلغنا في كتاباتنا عنهﷺفلا نوافيه حقه علينا، وحسبنا أننا حاولنا، فما كان من توفيق فهو من توفيق الله، وما كان من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان.

التمهيد:

مفهوم الصدر، والقلب، والفؤاد

اعتاد الباحثون في التأسيس لبحوثهم على إعطاء نظرة شاملة، ورؤية عامة حول ما يرومون بحثه، وكان من جملة هذه التأسيسات أن يأتوا على تعريفات خاصة بمفردات البحث، وهذا الأمر أكثر ما ظهر في البحوث الإسلامية والقرآنية على وجه التحديد، لكون هذه البحوث تحتاج إلى إحاطة بعلوم اللغة العربية والبلاغة، وغير ذلك مما لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث الإسلامية، وطالما أن موضوع البحث هنا هو الصدر ومحتواه في القرآن الكريم، فإننا نرى لزاماً علينا أن نقدّم في مطلع هذا البحث ما يحتاج إليه من تعريف، سواء من حيث اللغة أم من حيث الاصطلاح أم من حيث ما يعنيه المفهوم بحدّ ذاته، ذلك أن القرآن فيما ينطوي عليه من مفاهيم وحقائق، هو يؤسس لمفهوم مطلق في حركة الإنسان في الزمان والمكان والتاريخ، ولهذا، نجد من الباحثين مَن اختار إعادة البحث في خارطة المفاهيم القرآنية، داعياً إلى إعادة بناء المفاهيم في ضوء رؤية قرآنية تكون بمنزلة المرجعية لكل مفهوم.

المطلب الأول: مفهوم الصدر في اللغة والاصطلاح:

إن القرآن الكريم قد أتى على مفردة الصدور في كثير من الآيات، التي تشير في سياق الدلالة والمفهوم إلى معنى القلب والفؤاد والعقل والروح، وغير ذلك مما لا يمكن إدخاله في باب الترادف والتفريع وحسب، على رأي من يذهب إلى القول بذلك. وقد أجمع أهل اللغة على أن الصدر يعني القسم الأمامي مما يلي وجه الإنسان، ومن ثمّ أطلق على القسم الأعلى والمقدم لأي شيء مثل صدر المجلس، أي أعلاه، وصدر الكلام: أي بدايته، وصدر النهار: أي أوله[1] ، قال الراغب: « إن الصدر استعير لِمُقدم الشيء كصدر القناة، وصدر المجلس والكتاب والكلام»[2] . وإنّ الصدر هو مفردة قرآنية استعيرت لتؤكّد المعنى الكلي لحالات الإنسان، على قلبه، وروحه، وفؤاده، وعقله، وعلى كل ما له مقدمية اعتبار، وعلوّ مقام في حقيقة

الإنسان، باعتبار أن الصدور هي جامعية الرؤية القلبية وحقائق الإيمان وكل البيّنات، وهذا كله يبيّن بل يؤكّد أن الصدر له رمزية القلب والفؤاد بكل ما ينطويان عليه من تجلّيات تخرج الصدر عن كونه مجرد تعبير مجازي ليكون له معنى النفس الإنسانية المفكرة والعالمة التي تشكل حقيقة الإنسان وجوهره. وبما أن الصدر هو محلّ الفؤاد، تماماً كما هو الفؤاد محلّ القلب، والقلب محلّ العقل، كما أفاد القرطبي [٣] ، فإنّ الله تعالى قد خصّ الصدر بالذكر لكونه محلاً لكل ذلك، وأن القلب هو أخصّ من الفؤاد في الاستعمال، وأن الفؤاد هو غشاء القلب، وأشار الرازي الى أن القلب قد يكون اسماً للأجزاء التي تحلّ فيها المعاني الحقيقية من عقل وفرح وحزن، وشعور وعواطف، وأن الفؤاد قد يكون اسماً لمجموع العضو المعروف[٤] ، وشاملاً لكل ذلك لكونه غشاءً للقلب. ويضيف الراغب الأصفهاني في تعريف الصدر كلاماً، هو في الحقيقة مرتكز فهمنا، وسرّ ما نذهب إليه في معنى تمايز القلوب والصدور قال بعض الحكماء: «حيثما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذَكَرَ الصَّدر، فإشارة إلى ذلك، أي إلى العقل، وإلى سائر القوة من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾[٥]، فسؤال لإصلاح قواه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى اشتفائهم[٦].

وعليه، فإنّ معنى أن تحلّ مفردة مكان أخرى في الدلالة القرآنية، أن لا يظهر الصدر على أنه شيء آخر خلاف القلب والفؤاد، بل هو استعاده لتبيان حقيقة الصدر بما هو مكان لحقيقة التجلّي الإنساني بأوسع معانيه، ولهذا، نجد الخطاب الإلهي إلى الرسول ﷺ بقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٧] ، وغيرها من الآيات التي يستفاد منها توسعة في الصدر في مقابل الضيق والحصر. وعلى كل حال، بما أن العقل عضو مهم ويقع في الجزء الأعلى من البدن فأُطلق عليه صدر، وخاصة أن القلب الجسماني يقع في وسط الصدر...»[٨]

الصدر اصطلاحاً: ولا يخرج معنى الصدر الاصطلاحي عن معناه اللغوي.

المطلب الثاني: مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح:

معنى القلب لغة: قال ابن منظور: «القلب: تحويل الشيء عن وجهه. قَلَبَهُ يَقلِبُهُ قلباً، وقَلبَ الشيء، وقلّبه: حوّله ظهراً لبطن. وتقَلَّبَ الشيءُ ظهراً لبطن، كالحية تتقلّب على الرمضاء، وقلبتُ الشيءَ فانقلب أي انكَبَّ، والقلب أيضاً: صَرْفُكَ إنساناً، تقلِبُهُ عن وجهه الذي يريده، وقلّب الأمور: بحثها ونظر في عواقبها[٩]، وجاء في معنى الانقلاب أيضاً أنه «تحول الشيء عن وجهه، وجعل أعلاه أسفله أو يمينه شماله أو باطنه ظاهره، ويُقال: قلب الأمر ظهراً لبطن: اختبره، وقلب التاجر السلعة، تبصّرها. ويقال: قلّب الشيء: مبالغة في قلب، وتقلّب في الأمور: تصرّف فيها كيف شاء، والانقلاب: تحول الشيء عن وجهه، وتغيير مفاجئ في نظام الحكم. . . ، ويقال أيضاً: قلب كل شيء: وسطُهُ ولبّه ومحضه. . . » [١٠].

وقال الراغب الأصفهاني: «قلب الشيء: تصريفُهُ وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان: أي صَرَفَهُ عن طريقته، والانقلاب: الانصراف. . . وقلب الإنسان: قيل سُمّي به لكثرة تقلّبه، ويعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الروح والعلم والشجاعة[١١]

معنى القلب اصطلاحا:

إذا كان القلب في اللغة يعني التحول في الوجه يميناً وشمالاً، وظاهراً وباطناً على ما أفاد أهل اللغة، وأن الترادف في الأسماء لا يعني انتفاء التفرقة، فإنّ معنى القلب في الاصطلاح، سواء العلمي أم الشرعي، هو نفسه المعنى الذي أتت عليه اللغة، ولكنه يمتاز عنه في الاصطلاح في كون القلب ينقسم إلى ما هو قلب مادي جسماني وقلب معنوي.

كما عبر عن هذا الإمام الغزالي بقوله: «وحيث ورد في القرآن والسنّة ذكر القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرفه حقيقة الأشياء، وقد يكنّى عنه بالقلب الجسماني الذي في الصدر، لأنّ بينه وبين تلك اللطيفة العالمة التي هي حقيقة

الإنسان علاقة خاصة لتعلّقها بسائر البدن، وهو إنما يكون تعلّق بواسطته، فهو مملكتها ومطيتها والمجرى الأول لتدبيرها وتصرفها. . . فالقلب الجسماني والصدر بالنسبة إلى الإنسان كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى من وجه. . . »[١٢]. وهكذا، فإن معنى القلب اصطلاحاً هو هذا التقسيم والتمييز، بين ما هو جسماني، وما هو ربّاني، بين ما هو جسم لطيف بخاري حامله دم أسود منبعهُ تجويف القلب الجسماني، وبين ما هو لطيفة عالمة مدركة، والتي هي الإنسان، بل روحه الإنساني.

المطلب الثالث: مفهوم الفؤاد والفرق بينه وبين القلب:

الفؤاد لغة: ورد في لسان العرب أنّ الفؤاد معناه القَلبُ؛ وهو من التفؤّد والتوقّد؛ وفي القرآن الكريم جاء لفظ الفؤاد بمعنى القلب، وقيل له فؤاد في مواضع معيّنة نسبةً إلى التوقّد[١٣] فقال تعالى: (نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)[١٤]، ولا يخرج معناه اللغوي عن الاصطلاحي.

وذهب بعض أهل اللغة إلى المساواة بين القلب والفؤاد، منطلقين من قاعدة الترادف، والأصل خلافه فللإنسان قلب وفؤاد، ولكن حالات القلوب تتمايز، فمنها ما تزداد المضغة فيه ليكون أكثر إيماناً، ومنها ما يكون له رقّة ولين، ومنها ما لا يكون له شيء من ذلك، ومن هنا يتكشّف لنا معنى كلام رسول الله ﷺ فيما أشار إليه من قلوب أهل اليمن بقوله: «أتاكم أهل اليمن، أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية»[١٥]، ففرّق بينهما، وخصّ القلب بالرِقة، والفؤاد باللين.

وقد أشار ابن منظور إلى هذا المعنى دون أن يتوقف مليّاً عنده، فقال: «كأن القلب أخصّ من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أصبت حبة قلبه، وسويداء قلبه. . .»[١٦]. وهناك من أهل اللغة أيضاً من بسط الكلام دون فقه في مدلول المفردات، فقال: ربّما يكون القلب بمعنى الفؤاد تماماً، لكن النبي ﷺ وزّع الأوصاف إليهما على سبيل الترادف والتنويع في الكلام، لا على سبيل الافتراق، ساهياً عن معنى الفؤاد في اللغة

لجهة ما يعنيه من توقّد من التفوّد، إذ يقال في اللغة: فأدت اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشوي، وتفأدت النار: تحرّقت وتوقّدت. ويقال هو فارغ الفؤاد، لا همّ عنده ولا حزن، وبه قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾[17] . وجمعه أفئدة[18] . فالقرآن، لم يقل وأصبح قلب أم موسى فارغاً، ولا قال ما كذب القلب ما رأى، وإنما جاء بمفردة الفؤاد ليدلّل من خلالها على معنى آخر ومفهوم يتمايز عن معنى القلب بما له من تحويل وتقليب وخصيصة في الاستعمال لما أشار إليه النبيﷺ من رقة القلب ولين الفؤاد، يقول الرازي: «ومن الناس مَن فرّق بين القلب والفؤاد، فقال: القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون ما يكتنفها من اللحم والشحم، ومجموع ذلك هو الفؤاد، ومنهم من قال: القلب والفؤاد لفظان مترادفان، وكيف كان يجب أن يُعلم أن من جملة العضو المسمّى قلباً وفؤاداً موضعاً، هو موضع في الحقيقة للعقل والاختيار، وأن معظم جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع، كما أن سائر الأعضاء مسخّرة للقلب، فإنّ العضو قد تزيد أجزاؤه من غير ازدياد المعاني المنسوبة إليه، أعني العقل والفرح والحزن، وقد ينقص من غير نقصان في تلك المعاني، فيشبه أن يكون اسم القلب اسماً للأجزاء التي تحلّ فيها هذه المعاني بالحقيقة، واسم الفؤاد، يكون اسماً لمجموع العضو، فهذا هو الكلام في هذا الباب. . . »[19] .

وقد تضمّن القرآن الكريم، ، عشرات الآيات القرآنية التي تأتي على مفردة القلب، أو القلوب، في حين أتى على بعض الآيات التي تستعمل مفردة الفؤاد، وبعضها أفئدة، كما أن القرآن حينما تحدث عن المسؤولية والشهادة على الأعمال في الآخرة، قال: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[20] ، ولعلها الآية الوحيدة التي جاءت لتجمع بين السمع والبصر والفؤاد في نطاق تحمّل المسؤولية. ، فإذا كان البصر في الآية يعني الرؤية البصرية، والسمع يعني حاسة السمع، فإنّ الفؤاد، الذي هو القلب، يعني العلم، فلا يقول الإنسان على ما أفاد

القرطبي «رأيت وهو لم يرَ، وسمعت وهو لم يسمع، وعلمت وهو لم يعلم»[٢١] .

وإن الآيات التي جمعت فيها الأفئدة كلها تدعو إلى ضرورة أن يقوم الإنسان بالشكر لله تعالى على ما مَنّ به عليه من نعم سواء في حواسه أم في نفسه المتفكرة، والعالمة والمدركة التي يتميّز بها عن سائر الحيوان[٢٢] .

لا شكّ في أن الكلام الحاكم في هذا المجال يبقى لرسول اللهﷺالذي لم يأتِ الكلام منه على سبيل الترادف والتنويع في الاستعمال، وإنّما لتأكيد حقيقة التمايز بين أن يكون القلب رقيقاً، والفؤاد ليناً، وكمال المعرفة والتحوّل من الإيمان يحتاج إلى أن يكون الإنسان جامعاً للرقة والليونة، ومتوقداً في كمال التعقّل والنضوج، كيما تصحّ منه حقيقة التحول، بحيث تكون له رؤية حقيقية في القلب، وبصيرة نافذة في العلم والمعرفة، ولربما يكون هذا المعنى ملحوظاً في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾. والفؤاد هو قلب الرسولﷺلما اشتمل عليه من جامعية واستواء على معاني الحق والنور، فكان منه التجوهر في الملكوت على نحو لا يكون فيه زيغ ولا طغيان، كما قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[٢٣][٢٤] ، ثم إن كمال المعرفة والتحقيق إنما يكون باجتماع رقّة القلب إلى لين الفؤاد، الذي يكون محصّله الرحمة والإحسان، ومعرفة الحق وقبوله، باعتبار أن اللين يوجب القبول والمعرفة والفهم، والرِقة تقتضي الرحمة والشفقة، وهذا هو العلم والرحمة وبهما كمال الإنسان[٢٥]، وإن القرآن واضح الدلالة في الإشارة إلى حقيقة التمايز بين مفردة القلب ومفردة الفؤاد، فهو أشار إلى الفؤاد في بدء الخلق والإنشاء، ثم خصّه بالرؤية في كلام الرسول ﷺ في سورة النجم، هذا فضلاً عمّا خصّه به من تمايز في حمل المسؤولية، ناهيك عمّا جاء به القرآن من تعابير عن هواء الأفئدة، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾[٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[٢٧] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الواضحة الدلالة على أن الفؤاد هو غشاء القلب وبابه، فإذا لم تستوِ حالته، ويفرغ من

هوائه، بحيث يلين لخيوط النور، وتنتفي عنه الأهواء، فلن يكون العبور آمناً إلى حبّة القلب وسويدائه، لتكون له حقيقة الرؤية للآيات الكبرى، سواء في عالم الملك، أم في عالم الملكوت، لأنّ الفؤاد مجاله حماية القلب في لين تحوّله وتقلّبه، فإمّا أن يستجمع المعاني المستوية إليه من عقل وفرح وحزن وشعور ووجدان وعواطف، على ما أفاد الرازي، وإمّا أن تشوبهُ القسوة واليبس، فلا يكون منفذاً للحق إليه، فيؤول الحال به إلى أن يكون هواءً لا استواء له على حق، ولا سبيل له إلى رؤية، يقول العسكري: «الفؤاد غشاء القلب إذا رقّ نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذّر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئاً علق به إذا كان ليّناً»[٢٨].

وهناك مَن رأى من العلماء والمفسرين، أن العقل عندما ينضج يطلق عليه «فؤاد» وكما أفاد الراغب أن الفؤاد يعني القلب مع زيادة الإنارة واللمعان، ولكن هذا الكلام يمكن فهمه على نحو آخر بأن نقول: إنّ القلب هو العقل، ولكن المستفاد من الآيات المباركة، بحسب منهجنا الموضوعي، هو أخذ القلب بكليته من حيث هو موضع العقل والاختيار، هذا فضلاً عن كونه مجال الحواس الظاهرة والباطنة، ومرتكز حقائق الإيمان، وهذا يعني فيما يعنيه أن لا نخصّ العقل في الرؤية الموضوعية للآيات بالقلب دون الفؤاد، حتى إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ. . . ﴾[٢٩].

ويمتاز القلب عن الفؤاد، في أنه ملحوظ على جهة الكسب، وقد ألمح العلاّمة الشيرازي إلى هذا المعنى فيما أشار إليه من تدرّج في حقيقة المعرفة التي تبدأ بالسمع بما هو علوم نقلية، وتنتهي بالفؤاد الذي هو العقل عند نضوجه، لأنه ـ أي الفؤاد، هو أعلى درجة من العقل[٣٠].

وعليه، فإنّ ما نريد تأكيده في مبحثنا هذا، هو أن القلب والفؤاد ليسا شيئاً واحداً، وإن كانا يترادفان من حيث الأصل، بل هما يتفاضلان في درجات الكمال

والنور والحقيقة القلبية، لكون هذه الرؤية خصّت بالفؤاد تماماً كما خصّ الحساب والمسؤولية به، بعد أن كانت هذه الحواس قد خلقت وكوّنت ابتداءً لتؤدّي دورها في الشهادة على نفسها فيما يكون منها من سمع وبصر وفؤاد، وليس من الصدفة أبداً أن يأتي الكلام الإلهي بهذا التدرّج ليعطي الفؤاد خاتمة التحول بما يكون له من شهادة؛ هي في الحقيقة جامعية النفس الإنسانية المفكرة التي ميّزت الإنسان من سائر الحيوان. وهذا أمرٌ من الأهمية بمكان، لكونه يُعطي الفؤاد والأفئدة امتيازاً في القرآن على القلب، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣١] .

المبحث الأول: انشراح صدر النبي ﷺ ورفع الحرج والضيق عنه

المطلب الأول: انشراح صدر النبي محمد ﷺ.

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله بنعم عظيمة جليلة، أولاها فضلا، وأوفاها مِنَّةً، وأعلاها قدرا نعمة النبوة، حيث اصطفاهم لقربه، واجتباهم لرحمته، ومن هذا الفضل أنه سبحانه شرح صدر الرسول الكريم محمدٍ ﷺ، وامتن عليه بهذه النعمة العظيمة في سورة من القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة، تسمى سورة «الشرح». قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٣٢] وشَرْحُ صدر النبي ﷺ يتضمن معاني كثيرة عظيمة:

وشرح الله صدره للإسلام دينا وشريعة، وهذا أعظم ما يمكن أن ينشرح له الصدر، وذهب الجمهور إلى أن شرح الصدر المذكور هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه بعد ما كان يشق عليك[٣٣]. وفيه: شرح صدره كناية عن الإنعام عليه بكل ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات، وإعلامه برضى الله عنه، وبشارته بما سيحصل للدين الذي جاء به من النصر[٣٤]». ومنه: « ألم نلين لك يا محمد صدرك ونوسعه لك للهدى ووعي الحكمة وقبول الإيمان»[٣٥].

ومنه: « ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة»[٣٦]؛ و معنى هذا الاستفهام: التقرير، أي: قد فعلنا ذلك [٣٧]، ومعلوم أن الاستفهام إذا دخل على النفي قرره كما في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك، و إنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم و الإدراكات، و المراد الامتنان عليه ﷺ، بفتح صدره و توسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة، و قدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة و حفظ الوحي[٣٨]. ومن العلماء من فسر الصدر بالقلب. حكاه القاضي عياض في الشفاء[٣٩].

ويمكن أن يقال ايضا في: «ألم نشرح صدرك»، بدون« لَكَ »؛ ولكن جيء به زيادة بين فعل الشرح، ومفعوله لفائدتين:

الفائدة الأولى: هي سلوك طريقة الإبهام، ثم الإيضاح للتشويق؛ فإنه سبحانه، لما ذكر فعل: « نَشْرَحْ »، عَلم السامع أن ثَمَّ مشروحًا. فلما قال: « لَكَ »، قويَ الإبهام، فازداد التشويق. فلما قال: » صَدْرَكَ «، أوضح ما كان قد عُلِم في ذهن السامع مبهمًا، فتمكن في ذهنه كمال تمكن «وهذا من الإطناب البليغ. قال علماء البيان: «إذا أردت أن تبهم، ثم توضح، فإنك تطنب، وفائدته: إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام والإيضاح. أو لتمكن المعنى في النفس تمكنًا زائدًا [٤٠]"".

أما تعليل المفسرين فقد اختلف عن تعليل أهل البيان في ذكر كلمة « لك « فقد أورد الرازي رحمه الله تعالى سؤالا وأجاب عنه فقال: « لِمَ قال: ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك؟ والجواب: من وجهين أحدهما: كأنه تعالى يقول لام بلام، فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال: ((إلا ليعبدون))[٤١]، ((أقم الصلاة لذكري))[٤٢] فأنا أيضا جميع ما أفعله لأجلك وثانيها: أن فيها تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة إليه ﷺ، كأنه قال: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي»[٤٣]. ومما يبيّن العناية برسول الله ﷺ بخصوص هذه الآية ما قاله الشيخ علوان: « لا يخفى على

من شرح الله صدره للإسلام ووسع قلبه لقبول عموم الحكم والاحكام بحيث قد وسع الحق فيه مع عموم شؤونه وتطوراته غير المتناهية المترتبة على أسمائه وصفاته ان تفسيح الصدر وتوسيعه انما هو من علامات العناية الإلهية لخلص عباده إذ مقام الخلة والخلافة انما يترتب على هذا الشرح والتوسيع وهو من أعظم الفتوحات الإلهية وأجل الفيوضات الربانية لذلك خاطب سبحانه حبيبهﷺفي مقام الامتنان به»[٤٤].

وقول الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله: « كان موسى عليه السلام مريدا فقال: قال ﴿رب اشرح لي صدري﴾[٤٥] وكان نبيناﷺمراد فقال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[٤٦].

وما ذكره الرازي رحمه الله: في أن الله تعالى لم يقل ألم أشرح؟ وإنما جيء بنون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدل ذلك على أن ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنه جلالتها، وإن حملناه على نون الجميع، فالمعنى كأنه تعالى يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك، فأديت الرسالة «[٤٧].

المطلب الثاني ـ رفع الحرج عن صدرهﷺ.

جاءت آيات القرآن الكريم عن الرسولﷺمركزة على العناية التي حظي بها النبي محمدﷺ، فكانت الآيات الكريمة شهادات لتلك العناية الربانية ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[٤٨]، قال الطبري: فلا يضيق صدرك يا محمد ﷺ من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به وإبلاغه إياه، ولا تشك في انه من عندي، واصبر بالمضي لأمر الله ﷻ واتباع طاعته فيما كلفتك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولوا العزم من الرسل[٤٩] من قبلك فان الله معك والحرج هو الضيق في كلام العرب، وقال ابن عباس وقتادة والسدي الضيق هو الشك[٥٠] وقد ذكر الإمام البيضاوي أن الشك في حالة التبليغ هو الحرج من أن يكذب القوم كتاب الله فقال: ﴿فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ أي شك فان الشك حرج في الصدر أو ضيق في القلب

من تبليغه مخافة أن يكذب فيه. أو تقصير في القيام بحقه وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك هاهنا، والفاء تحتمل العطف. والجواب فكأنه قيل إذا نزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك. (٥١). وذكر القرطبي ان الحرج يأتي على معنيين فأما أن يكون معناه الشك، وأما أن يكون بمعنى الضيق فقال: فيه مسألتان: الأولى قوله جلاله ﴿ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾: أي ضيق أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ. والنهي معناه نفي الحرج عنه أي لا يضيق صدرك ألا يؤمنوا به فإنما عليك البلاغ وليس عليك سوى الإنذار به.

والثانية: مذهب مجاهد وقتادة أن الحرج هنا الشك، وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق، وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الأمة. وقيل للإنذار أي انزل إليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه، فالكلام فيه تقديم وتأخير. وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام أي فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له (٥٢).

وقال أبو السعود في قوله ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ أي شك كما في قوله جلاله ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾(٥٣) عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن اليقين يعتريه انشراحه وانفساحه تنزيهاً في ساحته صلى الله عليه وآله عن نسب الشك إليه ولو في ضمن النهي، فانه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها إياه وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد منه نهيه صلى الله عليه وآله عنه، أما لما مر من المبالغة في تنزيهه صلى الله عليه وآله عن الشك فان النهي عن الشيء مما يوهم إن كان صدور المنهي عنه، وأما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره صلى الله عليه وآله سبب لاتصافه صلى الله عليه وآله به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني(٥٤) ونفي له من أصله بالمرة. فيكون المآل نهيه صلى الله عليه وآله عن تعاطي ما يورث الحرج. وقيل الحرج على حقيقته، أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وان تقصر في القيام بحقه فانه صلى الله عليه وآله كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له، فآمنه الله جلاله ونهاه عن المبالاة فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به،

فان كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ ﴾[٥٥]

وقال ابن الجوزي في: قوله ﷻ﴿ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ قولان: القول الأول: أن الهاء ترجع إلى الكتاب فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن، قاله الزجاج. والثاني: لا تشكن لأنه ليس من عند الله. [٥٦]

القول الثاني: ذكر الآلوسي أن استعمال الضيق للحرج مجاز وعلاقته اللزوم ﴿ الحرج هو الضيق واستعماله في ذلك مجاز، كما أن في الأساس علاقته اللزوم فإن الشك يعتريه ضيق الصدر، والقرينة المانعة هو امتناع حقيقة الحرج والضيق من الكتاب، وان جوزتها فهي كناية، وعلى التقديرين هو قد صار حقيقة عرفية في ذلك.

وجوز أن يكون الحرج باقيا على حقيقته، لكن في الكلام مضاف مقدر كخوف عدم القبول والتكذيب فإنه ﷺ كان يخاف من قومه وتكذيبهم وإعراضهم عنه وأذاهم له[٥٧]. وكون الحرج حقيقة، كناية عن عدم المبالاة بالأعداء، وأيا ما كان فالتنوين في حرج للتحقير ومن متعلقة بما عندها أو تحتمل العطف أما على مقدار بلغه ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ ﴾ وأما على ما قبله بتأويل الخبر بالإنشاء أو عكسه

أي تحقق إنزاله من الله ﷻ إليك، أو لا ينبغي لك الحرج وتحتمل الجواب كأنه قيل: إذا انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه [٥٨]. ومن أجمل ما ورد في تفسير الآية ما قاله الشعراوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ « فالنهي ليس لرسول الله ﷺ وإنما النهي للحرج أو الضيق أن يدخل لرسول الله، وكأنه سبحانه يقول: يا حرج لا تنزل قلب محمد ﷺ »[٥٩]. وله شبيه في القرآن فانه ﷻ قال لإم موسى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [٦٠] فالخطاب لإم موسى ثم وجه الأمر للبحر ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾[٦١] والأمر لإم موسى بالاطمئنان، وإلا هل تحفظه من الموت المظنون إلى موت محقق ؟ إنما في وحي الله صون الحق فلا تعارض. أو أن

يكون المطلوب انك يا محمد ﷺ لا تتضايق فلا يسلمك الله إليهم[٦٢].

والحرج الذي هو بمعنى الشك، لم يدخل إلى صدر النبي ﷺ بل هو الحرج من عدم استجابة الناس لدعوته، وهو الموصول بربه ﷻ فأراد الله ﷻ أن يخفف عن رسوله ﷺ هذا الحرج فقال له: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْه﴾ وكأنه يخاطب الحرج فيقول له انخلع ولا تدخل قلب النبي ﷺ فما لك من مكان فيه، وهو يخاطب رسوله ﷺ أيضا فيقول له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[٦٣]. وان دخل الحرج بسبب عدم إيمان المشركين إلى قلب الرسول ﷺ فان الله رافعه فهو يتولى أمر رسوله ﷺ ويجعله منشرحاً فينذر قومه ويبشرهم وهو منشرح الصدر ومستعد لتحمل أعباء الدعوة فينجح في تبليغ الرسالة.

المطلب الثالث: حصول الضيق لصدره ﷺ:

كان النبي الكريم ﷺ يتأذى من استهزاء المشركين، وإعراضهم عن الحق، ولقد لاقى منهم أشد أنواع العذاب والعنت، فضيق الصدر أمر طبيعي يحدث لأمور، فأنزل الحق سبحانه وتعالى آيات كريمة تسلية للنبي ﷺ لما لقيه منهم. قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾[٦٤]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بها يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، له مصدق بأنه لله رسول! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تنذرهم عقابي، وتحذرهم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار»[٦٥]

وهذا على وجه الاستبعاد أي لا يكون منك ترك ما أوحى إليك، ولا يضيق صدرك بها يبدو من الغيب. . ومن شرح الله بالتوحيد صدره، ونوّر بشهود التقدير

سرّه– متى يلحقه ضيق صدر أو استكراه أمر؟[٦٦]، وقال الزمخشري: كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في ارشادهم. ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات، فكان يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم[٦٧]

وسبب هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك. وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال. فخاطب الله تعالى نبيه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها، وليس المعنى أنه ﷺ هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان[٦٨]. والتعبير ب « ضائق» أفضل من التعبير ب « ضيق» الفرق بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم، لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرا، ومثله قولك: زيد سيد جواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، والمعنى: ضائق صدرك لأجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه[٦٩]؛ لان رسول الله ﷺ كان افسح الناس صدرا[٧٠]. والمعنى: لا يضيق صدرك يا رسول الله من هؤلاء المتعنتين، الذين يريدون أن يخرجوك عن مقامك الذي تلحُّ دائماً في تأكيده، فأنت تؤكد لهم دائماً أنك بشرٌ، وكان المفروض فيهم أن تكون مطلوباتهم منك على مقدار ما أقررت على نفسك، فأنت لم تَقُلْ أبداً عن نفسك إنك إله، ليطلبوا منك آيات تُخالف النواميس، بل أنت مُبلِّغ عن الله تعالى.

وإياك أن يضيق صدرك فلا تُبلغهم شيئاً مما أنزِلَ إليك؛ لأن البلاغَ هو الحُجَّة عليهم، فلو ضاق صدرُك منهم، وانقصتَ البلاغ الموكَّل إليك؛ لأنهم كلما أبلغوا بآية كذَّبوها،

فاعلمْ أن الله سبحانه وتعالى سوف يزيد عقابهم بقدر ما كذَّبوا[71]. وقد جاءت آية أخرى مماثلة لهذه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[72]. أي: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يحرجك[73]. ففي هذا الآية تأنيس للنبي عليه السلام، وتسلية عن أقوال المشركين وإن كانت مما يقلق[74]. وضيق الصدر: مجاز عن كدر النفس[75]، ومما يبين مقام النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية ما أورده القشيري بقوله: وقال: «يَضِيقُ صَدْرُكَ» ولم يقل يضيق قلبك لأنه كان في محل الشهود، ولا راحة للمؤمن دون لقاء الله، ولا تكون مع اللقاء وحشة. ويقال هوّن عليه ضيق الصدر بقوله: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ» ويقال إن ضاق صدرك بسماع ما يقولون فيك من ذمّك فارتفع بلسانك في رياض تسبيحنا، والثناء علينا، فيكون ذلك سببا لزوال ضيق صدرك وسلوة لك بها تتذكر من جلال قدرنا وتقديسنا، واستحقاق عزّنا[76]. فالنبي صلى الله عليه وآله صبر كثيرا على أذى قومه وعداوتهم، ولكن الله تعالى الذي أمره بتبليغهم لم يدعه وحيداً بل سلاه بقوله إني أعلم بضيق صدرك، وهذا غاية في اللطف والعناية به صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وآله

خُص هذا المطلب بالآيات الخاصة بقلب النبي صلى الله عليه وآله، وليس أنبل من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله إنسان، وليس قلب كقلبه الطاهر المطهر إدراكا لتلك المعاني، وقد اصطفى ربنا ـ عز وجل ـ قلب النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ليكون محلاً لنزول القرآن الكريم. وقلب سيدنا رسول اللهّ صلى الله عليه وآله لا ينام، وإن نامت عيناه صلى الله عليه وآله والقلب الذي لا ينام قلب يقظ مستنبط دائم الفكرة، فيما ينفع الناس، وهو مستودع الرحمة. وما يخص هذا المطلب قوله تعالى: ﴿ قل مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[77]

وما يهمنا في بحثنا هذا أن يكون الكلام في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ﴾ فقد أورد الرازي رحمه الله أسئلة عدة فقال

السؤال الأول: الهاء في قوله تعالى: ﴿فإنه﴾ وفي قوله: ﴿نزله﴾ إلى ماذا يعود؟ الجواب فيه قولان: أحدهما: أن الهاء الأولى تعود على جبريل والثانية: على القرآن وإن لم يجر له ذكر لأنه وهذا قول ابن عباس وأكثر أهل العلم أي إن كانت عداوتهم لأن جبريل ينزل القرآن فإنما ينزله بإذن الله.

وقال الزمخشري[٧٨]: إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، وثانيهما: المعنى فإن الله نزل جبريل ﷺ لا أنه نزل نفسه.

السؤال الثاني: القرآن: إنما نزل على محمدﷺفما السبب في قوله نزله على قلبك؟ الجواب: أن أكثر الأمة على أنه أنزل القرآن عليه لا على قلبه إلا أنه خص القلب بالذكر؛ لأجل أن الذي نزل به ثبت في قلبه حفظًا حتى أداه إلى أمته، فلما كان سبب تمكنه من الأداء ثباته في قلبه حفظًا جاز أن يقال: نزله على قلبك وإن كان في الحقيقة نزله عليه لا على قلبه. السؤال الثالث: كان حق الكلام أن يقال على قلبي، والجواب: جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولي، من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك. [٧٩]، وخص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف[٨٠]، وجاءت المخاطبة بالكاف في {قلبك} اتساعًا في العبارة إذ ليس ثم من يخاطبه النبيﷺبهذه الكاف، وإنما يجيء قوله: فأنه نزله على قلبي، لكن حسن هذا إذ يحسن في الكلام العرب أن تحرز اللفظ الذي يقوله المأمور بالقول ويحسن أن تقصد المعنى الذي يقوله فتسرده مخاطبة له، كما تقول لرجل: قل لقومك لا يهينوك، فكذلك هي الآية[٨١]، وقال الآلوسي: {على قَلْبِكَ} لأنه القابل الأول للوحي إن أريد به الروح، ومحل الفهم والحفظ إن أريد به العضو بناءً على نفي الحواس الباطنة،

وقيل: كنى بالقلب عن الجملة الإنسانية كما يكنى ببعض الشيء عن كله، وقيل: معنى نزله على قلبك جعل {قَلْبِكَ} متصفًا بأخلاق القرآن ومتأدبًا بآدابه كما في حديث عائشة: «كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه» وكان الظاهر أن يقول على قلبي لأن القائل رسول الله صلى الله عليه وآله لكنه حكى ما قال الله تعالى له وجعل القائل كأنه الله تعالى لأنه سفير محض(٨٢). وظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن في قلب النَّبي صلى الله عليه وآله من غير سماع قراءة، ولكنه بين في مواضع أخر أن معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه(٨٣)، وفي قوله تعالى: فإنه نزله على قلبك، فيه التفات من التكلم إلى الخطاب وكان الظاهر أن يقال على قلبي، لكن بدل من الخطاب للدلالة على أن القرآن كما لا شأن في إنزاله لجبريل وإنما هو مأمور مطيع كذلك لا شأن في تلقيه وتبليغه لرسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن قلبه وعاء للوحي لا يملك منه شيئا وهو مأمور بالتبليغ(٨٤). وأتى بلفظ على « على قلبك»، لأن القرآن مستعل على القلب، إذ القلب سامع له ومطيع، يمتثل ما أمر به، ويجتنب ما نهى عنه. وكانت أبلغ من إلى، لأن إلى تدل على الانتهاء فقط، وعلى تدل على الاستعلاء. وما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه. وخص القلب، ولم يأت عليك، لأن القلب هو محل العقل والعلم وتلقي الواردات، أو لأنه صحيفته التي يرقم فيها، وخزانته التي يحفظ فيها، أو لأنه سلطان الجسد. (٨٥). وقال الرازي: وأما قوله (على قلبك) ففيه قولان: الأول: أنه إنما قال: (على قلبك) وإن كان إنما أنزله عليه ليؤكد به أن ذلك المنزل محفوظ للرسول صلى الله عليه وآله متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإنذار الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود ولذلك قال(لتكون من المنذرين) الثاني: أن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار ، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له والدليل عليه القرآن والحديث والمعقول(٨٦)، وأورد الشعراوي

سؤالا في هذا وأجاب عليه فقال: نزل القرآن على أذن رسول الله ﷺ، أم على قبله؟ الأذن هي: أداة السمع، لكن قال تعالى: {على قَلْبِكَ}؛ لأن الأذن وسيلة عبور للقلب، لأنه محلُّ التلقِّي، وهو(دينامو) الحركة في جسم الإنسان، فبالدم الذي يضخُه في أعضاء الجسم وأجهزته تتولَّد الطاقات والقدرة على الحركة وأداء الوظائف. لذلك نرى المريض مثلاً يأخذ الدواء من طريق الفم، فيدور الدواء دروة الطعام، ويُمتصُّ ببطء، فإنْ أردتَ سرعة وصول الدواء للجسم تعطيه حقنة في العضل، لكن الأسرع من هذا أن تعطيه حقنة في الوريد، فتختلط بالدم مباشرة، وتُحدِث أثرها في الجسم بسرعة، فالدم هو وسيلة الحياة في النفس البشرية.

إذن: فالقلب هو محلُّ الاعتبار والتأمل، وليس لسماع الأذن قيمة إذا لم يَعِ القلب ما تسمع الأذن؛ لذلك يقول سبحانه في موضع آخر: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ ﴾(٨٧).

فالمعنى: نزَّله على قلبك مباشرة، كأنه لم يمرّ بالأذن؛ لأن الله تعالى اصطفى لذلك رسولاً صنعه على عينه، وأزال عنه العقبات البشرية التي تعوق هذه المباشرة، فكأن قلبه ﷺ منتبهاً لتلقّي كلام الله؛ لأنه مصنوع على عَيْن الله، أما الذين سمعوا كلام الله بآذانهم فلم يتجاوبوا معه، فكانت قلوبهم قاسية فلم تفهم. والقلب محل التكاليف، ومُستقرّ العقائد، وإليه تنتهي مُحصِّلة وسائل الإدراك كلها، فالعيْن ترى، والأذن تسمع، والأنف يشمّ، والأيدي تلمس. . ثم يُعرض هذا كله على العقل ليختار بين البدائل، فإذا اختار العقل واطمأن إلى قضية ينقلها إلى القلب لتستقر به؛ لذلك نسميها عقيدة يعني: أمْر عقد القلب عليه، فلم يَعُدْ يطفو إلى العقل ليبحث من جديد، لقد ترسَّخ في القلب، وأصبح عقيدة ثابتة(٨٨).

المطلب الثاني: تنزيه ساحة النبي صلى الله عليه وآله عما قاله المشركون:

لقد نزّه الله تعالى رسوله عما قاله المشركون قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٨٩)

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: (افْتَرَى) محمد صلى الله عليه وآله (عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقا من نفسه. وقوله: (فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ) يا محمد صلى الله عليه وآله يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أُنزل إليك(٩٠). وقال الزمخشري: قوله: (فَإِن يَشَإِ الله يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) أي: فإن يشأ الله - تعالى - يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفتري عليه الكذب، فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم. وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله، وأنه في البعد مثل الشرك بالله، والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا: أن يُخَوَّن بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب، وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله، والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمرا عظيما (٩١). وقال البغوي: (يختم على قلبك) قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم: إنه مفتر. قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية (٩٢). وقيل: فإن يشإ الله يختم على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب. فالخطاب له والمراد الكفار. (٩٣).

المطلب الثالث: سمو القيادة وحكمة الرئاسة بالرفق والتلطف:

إن الرفق والتلطف من أهم الصفات التي يجب توفرها في أية قيادة، ومن البديهي أن الذي يتصدى للقيادة لو خلا من هاتين الخصلتين، وافتقر إلى روح السماحة،

وعامل من حوله بالخشونة والعنف والفظاظة فسرعان ما يواجه الهزيمة، وسرعان ما تصاب مشاريعه بنكسات، ويتفرق الناس من حوله، فلا يمكنه القيام بمهام القيادة ومسؤولياتها الجسيمة، ولذا قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِّ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٩٤]، إن وجود الرحمة في القلوب، يقتضي انتفاء غلظ القلوب وقساوتها. فقد نفى الله سبحانه عن نبيه غلظ القلب والسبب رحمة الله تعالى به أَلَان قَلبك لهم، فكنت سهلًا ورقيقًا في تعاملك معهم[٩٥]: والفظ: الغليظ والمراد به هاهنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك غليظ القلب أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٩٦]. وغلظ القلب ربما تعقبه درجة أشد، وهي ما عبَّر عنه القرآن الكريم بـ"قسوة القلوب ثم هي بعد ذلك درجات. والفرق بين الفظّ وغليظ القلب؛ أن الفظ الذي يكون سيء الخلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء، فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق ولا يؤذي أحدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظهر الفرق من هذا الوجه[٩٧]. وتلفت الآية الكريمة نظرنا إلى التوافق بين "الظاهر والباطن" فإنه حين ينتفي غلظ القلب وهو أمر باطن، ينبغي أن ينتفي معه أمر آخر وهو غلظ اللسان الذي عبرت عنه الآية بالفظاظة. و» قسوة القلب مرض من الأمراض الخلقية، يجفف في داخل النفس الإنسانية عاطفة الإحساس بآلام الآخرين وحاجاتهم، ويشتد هذا المرض، ويشتد معه الجفاف النفسي، حتى ينعدم الشعور بالواجب الفطري. . وفي هذه الحالة من حالات الجفاف النفسي تمسي القلوب مثل الحجارة التي لا ترشح بأي عطاء، أو أشد قسوة من الحجارة، لأن من الحجارة ما

تتشقق منه الانهار مع قسوته الظاهرة، فيندفع العطاء من باطنه الرخو ماء عذب نقي، ولكن بعض الذين قست قلوبهم يجف من أغوارها كل أثر للفيض والعطاء[٩٨]"

ولا يمكن للإنسان المسلم أن يصل إلى هذا المستوى من قسوة القلب، لأنه في هذه الحالة تكون قد جفت من قلبه كل ينابيع الإيمان، وهذا لا يلائم حضرة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: فؤاده الشريف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: تسليته وتثبيته في أداء الرسالة

عندما يتدبر الانسان القران الكريم يجد عشرات الآيات التي تشيد صراحة بمكانة النبي ﷺ، وعظيم قدره عند ربه عز وجل، كما يجد آيات أخرى تشير الى تفضيله على سائر البشر، بمن فيهم الأنبياء السابقون عليهم السلام، سواء في الدنيا أم الآخرة، ولقد كان لهذه الاشارات أعظم الأثر في تكريم النبي ﷺ، وتثبيته لإنجاز مهمته، ولا سيما أن هذه التزكية كانت تصدر من رب العالمين في أوقات اشتداد أذى قومه له وسفاهتهم عليه. ولقد سلك القران الكريم أساليب عدة لتثبيت النبي ﷺ امام التحديات حتى استطاع تبليغ رسالة ربه كاملة. ولا شك أن أغراض القصص القرآني وفوائده كثيرة، إلا أن ما يعنينا في هذا البحث هو بيان ما ورد في– تثبيت فؤاد النبي ﷺ لقوله تعالى: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق »[٩٩]. ووجه تثبيت فؤاد النبي ﷺ بذلك أنه كلما عاود القرآن ذكر قصص الأنبياء وأحوالهم مع أممهم عليه، زاد ذلك تذكيرا وعلما بأن حاله جار على سنن الأنبياء قبله، فيزداد يقينا بأن عاقبته النصر على أعدائه كما كانت عاقبتهم فيجدد ذلك تسليته وعزاءه مما يلقاه من قومه من التكذيب، فيزيد صبرا وتحملا وثباتا على الطريق[١٠٠].

فإن أعظم ما يخفف على الانسان بليته ومحنته، ويحمله على الصبر ما يذكر له من أحوال المصابين بمثل مصيبته، فيرتاح لمشاركة الناس له في محنته كما قالوا: المصيبة

اذا عمت خفت. ومن المعلوم أن معظم القصص القرآني نزل على رسول الله ﷺ في العهد المكي، والصراع بين الحق والباطل بالغ أشده، والمسلمون مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، لهذا كانت الحاجة الى التثبيت في العهد المكي أمس منها عن العهد المدني– وان لم يستغن عنه– ففي هذه المدة الحرجة والظروف القاسية نزلت سورة هود، وقد جاءت هذه الآية في آخرها. بعد أن قص الله على رسوله قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام أما في قوله تعالى: ﴿ وقرءآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾[١٠١] ؛ أي جعلناه مفرقا لكي تقرأه على الناس على مهل وتؤده بتنجيمه. ولقد كان لنزول القران منجما أثر كبير في تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتكريمه كما صرح القران بذلك في سياق رده على تعنت الكفار في اقتراحهم نزول القران عليه جملة واحدة حيث جعل الله احدى علل نزوله منجما تثبيت فؤاد النبي ﷺ.

المطلب الثاني: تشجيعه على حفظ الكتاب وفهمه، والرد على ما يثار حوله من الشبهات.

وقد تعهد الله تعالى لنبيه ﷺ بحفظ كتابه، وتنزيله مفرقا، لتثبيت فؤاده ﷺ قال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ يقول أبو شامة[١٠٢] رحمه الله: فان قيل ما السر في نزوله منجما، وهلا نزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا... ﴾ يعنون كما أنزل على قبله من الرسل فأجابهم الله بقوله كذلك أي أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤادك أي نقوي به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسَل اليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه

العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه لجبريل[١٠٣].

وقيل إن المراد بتثبيت الفؤاد: تسكين القلب ههنا ليس لشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر على القلب كان القلب أسكن وأثبت أبدا، كما قال ابراهيم g « ولكن ليطمئن قلبي »[١٠٤] وبينت الآية الغرض من قص قصص الأنبياء في القران وهو تثبيت فؤاد الرسول عليه الصلاة والسلام، ولأخذ العبرة والعظة والتخفيف عن المؤمنين[١٠٥]. كما أن التعبير بالفعل المضارع « نثبت « يدل على استمرارية الحدث « التثبيت» وتجدده[١٠٦]. وجاء بالنون في قوله « لنثبت» الدالة على التعظيم، وأكد المعنى ثانية في قوله (ورتلناه) بمعنى فرقناه أو أتينا به شيئا بعد شيء بتمهل وتؤدة لنيسر فهمه وحفظه[١٠٧]

المطلب الثالث: بيان منزلته ومقامه من مقام الرؤية عند الحضرة الإلهية

لقد تعدّدت المقامات الدالة على اصطفاء الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في منزلته ومكانته، وفي خصائصه وفضائله، وفي شمائله وصفاته ومما يدلّ على عظم ذلك المقام، وكون النبي ﷺ في أعلى مراتبه، حينما عُرج برسول الله محمد ﷺ إلى السماء رأى ما لم يره ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، حتى أخذ بعضهم يباريه على ما رآه، كما تخبرنا سورة النجم المباركة. قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[١٠٨] ورؤية الفؤاد تختلف عن رؤية البصر قال القرطبي: "أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج ; وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية"[١٠٩]

وأن المرئي في قوله « ما رأى» يحتمل الكلام وجوه ثلاثة: الأول: الرب تعالى والثاني: جبريل ﷺ والثالث: الآيات العجيبة الإلهية. [١١٠]، قال ابن عاشور: «والأظهر أن هذا رد لتكذيب من المشركين فيما بلغهم من الخبر عن رؤية النبي ﷺ»[١١١]. وسواء كانت الرؤيا قلبية أم بصرية، أو كان الاسراء بجسده أو بروحه على اختلاف المفسرين، فقد حاز نبينا ﷺ على مقام الرؤية، وحظي بمنزلة لم يحظ بها نبي من قبل.

الخاتمة

هذا ما يسره الله تعالى لنا في كتابة هذه البحث المتواضع في بيان أعضاء النبيﷺ في القران، وإن لكل عمل خاتمة، ولا بد من بيان أهم ما توصلت إليه. وقد توصلت في هذه البحث الى بعض النتائج المهمة والتي يمكن اجمالها بما يأتي:

١.حظي النبي محمدﷺبمميزات عدة من بين سائر الأنبياء عليهم السلام، إذ إن القران لم يكتف بذكر اسمه بل عرَّج بذكر صدره وقلبه وفؤاده، وهذا ما لم يكن لغيره من الأنبياء، حتى وإن ذُكرت لهم فهي قليلة بالنسبة لما ذُكر للنبيﷺ.

٢.يتضمن محتوى صدرهﷺ: الصدر، والقلب، والفؤاد.

٣.إن القلب والفؤاد والصدر ليسوا مترادفين، وإنما لكل لفظ معنى يختلف عن الآخر.

٤.كان النبي الكريمﷺبوصفه بشرا يتأذى من استهزاء المشركين وإعراضهم عن الحق، ولقد لاقى منهم أشد أنواع العذاب والعنت، فضيق الصدر أمر طبيعي يحدث له وقد مَن الله تعالى عليه بشرح الصدر.

٥.أكد القران الكريم شرح صدرهﷺ، برفع الحرج والضيق عنه.

٦. لا يوجد قلب أطهر من قلب النبيﷺ، فقد كان قلبه الطاهر مدركا لتلك المعاني، حتى اصطفاه الله تعالى؛ ليكون محلاً لنزول القرآن الكريم.

٧.خص القلب بالذكر في تنزيل القران؛ لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف.

٨.لقد سلك القران الكريم أساليب عدة لتثبيت فؤاد النبيﷺأمام التحديات، حتى استطاع تبليغ رسالة ربه كاملة هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه وأن ينفعنا والمسلمين بما قد أصبنا فيه من استنتاجات، وأن يتجاوز عنا بما أخطأنا فيه من ذلك وعدم تقديمنا الأفضل في هذه البحث، فالفضل والكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

١)ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٢٤١١، والقاموس المحيط،: ١ / ٥٩٤.
٢)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٤.
٣)ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٢٥٥.
٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/ ١٦٨.
٥) سورة طه، الآية: ٢٥.
٦)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٤.
٧) سورة الشرح، الآية: ١.
٨) نفحات القرآن، للشيرازي: ١١٥ – ١١٦.
٩)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٣.
١٠)المعجم الوسيط: ١٢/ ٧٥٣.
١١)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٢٦
١٢)مجموعة رسائل، أبو حامد الغزالي: ٤٢.
١٣)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٤.
١٤)سورة الهمزة: ٧.
١٥)صحيح البخاري، ك/ المغازي، ب/ قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥ / ١٧٤) (٤٣٩٠).
١٦)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٤.
١٧)سورة القصص: ١٠.
١٨)المعجم الوسيط: ٧٥٣.
١٩)التفسير الكبير: ٢٤ / ١٦٨.
٢٠)سورة الإسراء: ٣٦.
٢١)الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٢٥٧.
٢٢)إحياء علوم الدين: ٣ / ١٧ – ١٩.
٢٣)سورة النجم، الآية: ١٧.
٢٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١/ ٢٣٩، معجم الفروق اللغوية: ٤٣٣.
٢٥) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١/ ٢٣٩.
٢٦)سورة الأنعام: ١١٠
٢٧)سورة إبراهيم: ٤٣.
٢٨)ينظر: معجم الفروق اللغوية،: ٤٣٣.
٢٩)سورة ق: ٣٧.

٣٠)نفحات القرآن: ١١٥.
٣١)سورة القصص: ١٠.
٣٢) الانشراح/ ١
٣٣)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٥ / ٤٩٦)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (٣٠/ ١٦٦)
٣٤)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١/ ٤٨٥٠. وينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،: ٢/ ٥٩.
٣٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢ / ٨٣٣١):
٣٦) ينظر: مختصر تفسير البغوي: (٥ / ٢٧٤).
٣٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٩ / ١٦٢.
٣٨)ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٥/ ٤٦١
٣٩)ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١١٦.
٤٠) الإتقان في علوم القرآن: ٤١٥، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٣٦.
٤١)سورة الذاريات: ٥٦.
٤٢)سورة طه: ١٤
٤٣)التفسير الكبير: ٣٢ / ٢٠٦.
٤٤)الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: ٢ / ٥١٧.
٤٥)سورة طه: ٢٥.
٤٦) الرسالة القشيرية: ٢ / ٣٥٥، وينظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٣٢٢.
٤٧) التفسير الكبير: ٣٢ / ٢٠٦.
٤٨) سورة الأعراف الآية / ٢.
٤٩) أولوا العزم من الرسل هم خمسة جمعهم قوله ﷻ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ سورة الشورى الآية / ١٣
٥٠)جامع البيان في تأويل القرآن: (٨ / ١١٦)، التفسير الكبير (١٤ / ١٦).
٥١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٤٠٣.
٥٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ١٦٠.
٥٣) سورة يونس: ٩٤.
٥٤) ينظر: روح المعاني (٨/ ٧٦).
٥٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٢٠٩).

٥٦) ينظر: زاد المسير (٣/ ١٦٥).
٥٧) ينظر: روح المعاني (٨/ ٧٦).
٥٨) المصدر السابق: (٨/ ٧٦-٧٧).
٥٩) تفسير الشعراوي: ٧/ ٤٠٤٠.
٦٠) سورة طه: ٣٨-٣٩.
٦١) سورة طه: ٣٩.
٦٢) تفسير الشعراوي: ٧/ ٤٠٤٠.
٦٣) سورة الكهف: ٦.
٦٤) سورة هود: ١٢.
٦٥) ينظر: جامع البيان في تأويل أي القران: ١٥ / ٢٥٨.
٦٦) ينظر: لطائف الإشارات: ٢ / ١٢٧.
٦٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢ / ٣٨٢.
٦٨) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١٥٤.
٦٩) ينظر: التفسير الكبير: ١٧ / ٣٢٤، والجامع لاحكام القران: ٩ / ١٢.
٧٠) ينظر: روح البيان: ٤ / ١٠٥.
٧١) ينظر: لطائف الاشارات: ١٠ / ٦٣٦٤.
٧٢) سورة الحجر: ٩٧.
٧٣) ينظر: جامع البيان في تأويل أي القران: ١٧ / ١٥٩.
٧٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٧٦.
٧٥) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١٤ / ٩١.
٧٦) ينظر: لطائف الإشارات: ٢/ ٢٨٣.
٧٧) سورة البقرة: ٩٧.
٧٨) ينظر: الكشاف: ١/ ١٩٦
٧٩) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١١.
٨٠) ينظر: الجامع لأحكام القران: ١/ ٤٢٧.
٨١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٨٣.
٨٢) ينظر: روح المعاني: ١/ ٣٣٢
٨٣) ينظر: أضواء البيان في ايضاح القران بالقران: ١/ ٤٢
٨٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١٢
٨٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ١/ ٤٨٨

٨٦) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١١
٨٧) سورة البقرة: ٩٧.
٨٨) ينظر: لطائف الإشارات: ١/ ٤٨٠
٨٩) الشورى: ٢٤.
٩٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ٢٩٠
٩١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ١٩٤
٩٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ١٢٥.
٩٣) الجامع لاحكام القران: ٢/ ٣٦.
٩٤) سورة آل عمران: ١٥٩.
٩٥) ينظر: جامع البيان في تفسير آي القران: ٦/ ١٨٥)، (تفسير القران العظيم: ٢/ ١٤٨)،
٩٦) يُنظر: تفسير القران العظيم: ٢/ ١٤٨، وتفسير السعدي: ١٥٤.
٩٧) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٦٠.
٩٨) الأخلاق الإسلامية للأستاذ عبدالرحمن حبنكة: ٢/ ٧٦.
٩٩) هود: آية ١٢٠
١٠٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٩٢.
١٠١) سورة الإسراء: الآية: ١٠٦.
١٠٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين المقدسي الأصل، الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي ذو الفنون. من مصنفاته: «شرح الشاطبية» و «ومختصر تاريخ دمشق »و «مفردات القراء» مات سنة (٦٦٥ هـ) طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٢٧٠.
١٠٣) الاتقان في علوم القران: ١/ ١٢١.
١٠٤) البقرة: ٢٦٠.
١٠٥) صفوة التفاسير ٥/ ١١٨
١٠٦)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ٢٤٨.
١٠٧) القاموس المحيط: ٧/ ٩.
١٠٨) سورة النجم: ١١.
١٠٩) الجامع لاحكام القران: ٣/ ٥٢٦
١١٠) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٨٩.
١١١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٨٧.

المصادر والمراجع

القران الكريم
*الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
* إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.
*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.
*إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ، لكتاب: القاموس المحيط
*أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ
*البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة: ١٤١٩ هـ
*التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
* التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
* إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
*تفسير البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
*تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
*جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
*الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

*الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
*روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.
*روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
*زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى.
*سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
*الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة الثانية– ١٤٠٧ هـ.
*صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
*طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
*فتح الباري لشرح صحيح البخاري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية.
*فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
*الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
*القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو

القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ.
*لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤١٤ هـ.
*لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.
*مجموعة رسائل الإمام الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) نسخة: محققة مصححة بإشراف مكتب الدراسات، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
*مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.
*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية / لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
*مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
* معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠ه)المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
*معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ.
*المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
*التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤٢٠ هـ
*المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ(المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروتط١، – ١٤١٢ هـ

*نفحات القرآن أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقران الكريم – للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار العلم والمعرفة.
*الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)
، المحقق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى.